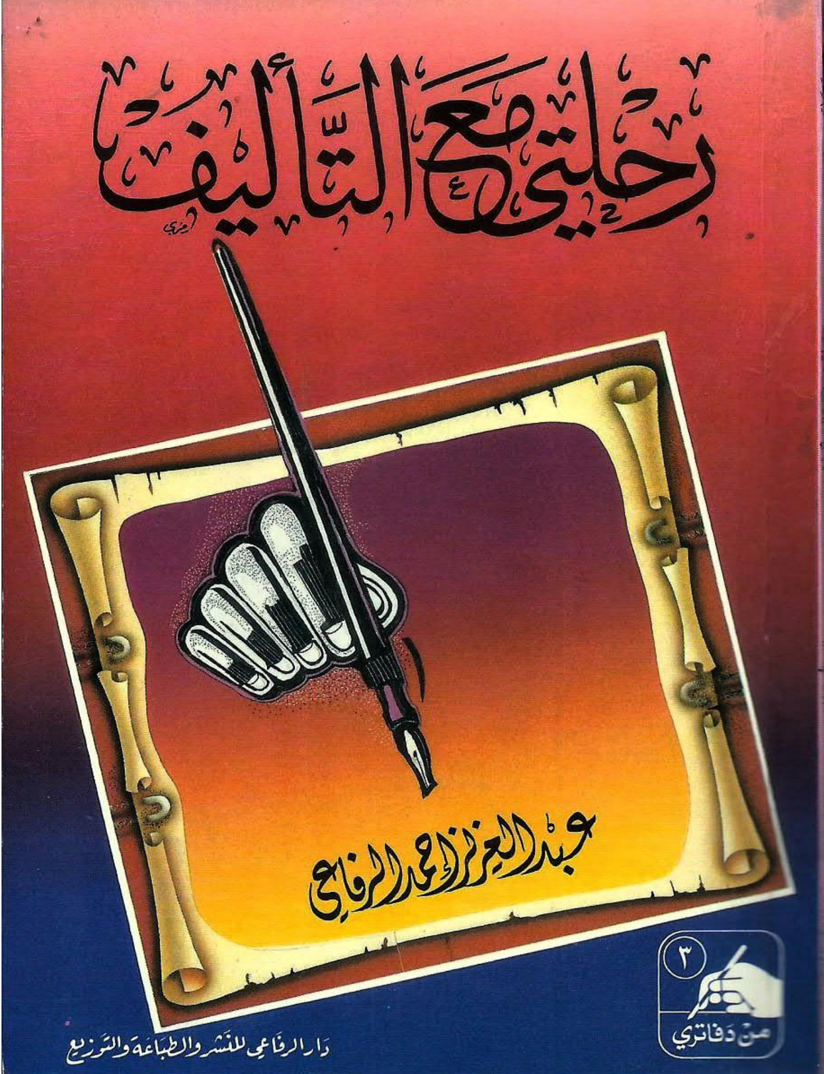

رحلتي مع التأليف
عبد العزيز أحمد الرفاعي
٣
من دفاتري
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

من دفاتري

(٣)



عبد العزيز الرفاعي



الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

فسح هذا الكتاب من مديرية المطبوعات
برقم ١١٧٠/م تاريخ ١٤١٣/٢/١٧هـ



ص.ب : ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس : ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي : ٤٧٩٤٣٢١
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

قصة هذا الكتيب تتصل بقصة كتيب سابق عنوانه (رحلتي مع المكتبات) الذي كنت في بادىء الأمر قد نشرته على حلقات في صحيفة (الجزيرة) ، ثم تولّت مجلة (عالم الكتب) التي تصدر بالرياض تلخيصه ونشره في أحد أعدادها سنة ١٤١١ هـ ، واقترحت عليَّ ، بعد نشره ، أن أكتب لها مقالاً عن قصتي مع التأليف ، أو رحلتي معه.

ومع أنني أعلم تمامًا أنه لا يصح أن أسلك نفسي في عداد المؤلفين ، فليس لي في عالم التأليف الرحب إلا رسائل صغيرة متواضعة جداً ، هي بالمقالات المطوّلة أشبه ، لا تجعلني في

مصاف المؤلفين ، ولو أني جمعت كل ما نشرته ، أو لم أنشره من هذه الرسائل لما بلغ حجم مجلد واحد.. مما يضعه المؤلفون من كتب فكيف بأولئك الذين وضعوا العديد من المجلدات..؟.

حقًا ماذا أكون أنا.. تجاه أحمد أمين ، وهيكل وطه حسين والعقاد.. والجاسر ، والسباعي ، والأنصاري.... الخ ، بل أولئك القدامى الذين بهروا التاريخ الفكري بمؤلفاتهم وموسوعاتهم كالجاحظ ، والطبري ، وابن كثير ، فضلاً عن السيوطي؟.

لكني وجدت نفسي أخضع لطلب الإخوة في مجلة (عالم الكتب) وعلى رأسهم الصديق العزيز الدكتور (يحيى ساعاتي) والصديق العزيز الأستاذ (عبدالرحمن المعمر) والأستاذ (محمد خير يوسف).. الذين يسرفون في حُسْن ظنّهم بي .. فيحسبونني في عداد المؤلفين .. وأنّىٰ لي أن أكون منهم إلاّ من بوابة المجاز.

كان لهم إذن ما أرادوا ، وكتبت نواة هذا الكتيب ونشر

ذلك في أحد أعداد المجلة عقب المقال الأول الذي أصبح فيما بعد كتيب (رحلتي مع المكتبات) .

وقد رجعت إلى أصل هذا المقال ، وأعدت النظر فيه بعض الشيء ، وها أنذا أقدّمه للقارىء ، عسى أن يكون فيه ما يفيد تاريخ الحركة الفكرية في بلادنا العزيزة ، وبالله التوفيق . .

عبدالعزيز الرّفاعي

الرياض ١١/٤/١٤١١ هـ

١ ـ محاولات

سأحاول أن أسترجع صور الماضي ، لعلي أتبيّن بين ملامحها المختلطة ما يعين على التعرّف على الخطوات الأولى التي خطوتها نحو محاولة التأليف .. وهذا يتطلب الحديث عن النفس بعض الشيء .. على الرغم مما في هذا الحديث من ثقل..!

منذ صباي الباكر ، تعلّقت بالقصة والشعر ، وأحسب أن أول ديوان شعري وقع في يدي ، وأنا في سن مبكرة جداً ، كان ديوان أبي نواس .. ولكنني ما اقتنيته على أنه ديوان .. بل اقتنيته لأن ذلك المجلد كان يضم إلى الديوان (نوادر أبي نواس)، مجلد شعبي ورقه أميَل إلى الصفرة ، ضم تلك النوادر وضم الديوان ، أو ما اختاره الناشر فجعله ديوانًا .. لقد اقتنيته تمامًا كما اقتنيت (نوادر جحا) ، ولا فرق في عالم النوادر بين جحا وأبي نواس .. إلاّ أنه لم يؤثر عن جحا أنه كان شاعراً.. فقد كان في حكمة الرجل ـ تلك الحكمة الساخرة ـ ما يغنيه عن الشعر ..

أما أبو نواس فقد كان في شعره اللاهي أيام الشباب ما يصدّه عن الحكمة ولو إلى حين .. إلاّ أن الأدب الشعبي أراده صاحب نوادر.. وهكذا كان .. ومن دأب الأدب الشعبي أن يجعل من الحبة قُبة.. لذلك كان لعنترة الفوارس من البطولات والخوارق ما يتجاوز منطقة المعقول إلى ساحة اللا معقول...!

كان من الطبيعي ، وقد قرأت في تلك السنّ نوادر أبي نواس مراراً وتكراراً .. أن أتجاوزها إلى الاطلاع على أشعاره.. وكان في تلك الأشعار .. أشياء من المجون ، ربّما تُغْري الصبيان وهم على أبواب المراهقة ، أن يقرؤوها.. وأحسب أن أول محاولة لي لكي أخربش شيئًا في دنيا الأدب ، هو أن أصنع أبياتًا على طريقة أبي نواس .. ليس في لهوه ، ولكن في حكمته ، بعد أن آل أمره إلى الحكمة ، فقد وجدت في ديوانه أبياتًا في الحكمة والزهد ، وإن لم أدرك آنذاك أن هذا الزهد ، وتلك الحكمة إنما أتيا مع الزمن .. ومع السِّن.

مهما يكن الأمر فقد كتبت أبياتًا في الحكمة ، ليس مهمًا أن تكون ذات وزن ، ولكن المهم أن تكون ذات قافية ، وقد يغني

عن الوزن .. استعمال (المساحة) ألا يكفي أن تكون الأبيات متساوية من حيث الطول .. ثم أليست المقاسات الطولية داخلة في عالم الأقيسة والمعايير؟.

هكذا كانت البداية في عهد الدراسة الابتدائية .. أما وقد انتقلت إلى المعهد العلمي السعودي ، وأصبح من بين مواد دراستنا ، دراسة الأدب العربي في شتى عصوره .. وانطلقت إلى قراءات حرّة متنوعة.. وقرأت من الشعر ديوان شوقي ، ورباعيات الخيّام (ترجمة البستاني) ، وقرأت للجارم ، وعلي محمود طه ، وتابعت شعراء مجلة الرسالة ، وأُتيح لي أن أقرأ شيئًا من مسرحيات شوقي الشعرية ـ أما وقد فعلت ذلك ، فقد وجدت في مسرحيات شوقي الشعرية شيئًا طريفًا راق لي ، واتسق مع مزاجي في الإقبال على القصة والرواية ، فحاولت أن أكتب شيئًا في هذا الاتجاه.. وكان أن أُتيح لي أن أقرأ قصة الزباء ملكة تدمر ، ووزيرها قصير ، الذي قيل عنه المثل المعروف : (لأمر ما جدع قصير أنفه) ، وحيلته في الجمال المحمّلة بالرجال ، داخل صناديق البضاعة ، والشعر الذي قيل عن هذه الحادثة :

ما للجمال مشيها وئيداً ؟

أجندلاً يحملن أم حديدا ؟

أم الرجال جثّمًا قعودا ؟

أثارتني هذه القصة وبهرتني بأحداثها ، وما في هذه الأحداث من حركة وتنوع وشعر ، فرأيت أنها صالحة لكتابة مسرحية شعرية .. وفعلاً حاولت أن أكتب شيئًا في هذا الاتجاه .. ولا أدري الآن أأكملت تلك المسرحية أم لم أكملها ؟ ولا أدري أين مصيرها..؟ فقد ضعفتْ مع الأيام ثقتي بذلك الشعر البدائي الذي كتبته .. ولا أدري من أي الموازين هو..؟ وأين مكانه من البحور أو المحيطات .. لقد طويت الأمر وأنسيته.. ولو أُتيح لي أن أصادفه .. لكان من الطريف حقًا .. أن أطالع تلك الصفحات الغلامية التي أعدّها خطوة أولى نحو التأليف ولو كان في عالم الشعر .. وفي عالم الشعر المسرحي .. هكذا دفعة واحدة..!

كان هذا قبل تخرّجي من المعهد.. وكان عمري آنذاك حوالي الثامنة عشرة..

وحينما كانت تقام مسامرات المعهد أو مسامرات المعهدين ، أعني المعهد العلمي السعودي ، الذي كنت أدرس به ، ومدرسة تحضير البعثات .. كنت أساهم فيها ببعض ما يتيسر لي .. وأذكر أنني ساهمت ذات خميس .. وكان ذلك نهاراً ، وليس في المساء ، فألقيت قصة كتبتها .. لعلّها أول قصة جرؤتُ على التصريح بها .. وخُيّل إليَّ حين إلقائها.. أنها تكفّلت بإعطاء المستمعين من الأساتذة والطلاب ، فرصة طيبة للإغفاء والراحة.. حقًا لقد صفقوا عندما انتهيت ، لعلّهم كانوا يُعبّرون عن فرحتهم بانتهائها!

وكان طبيعيًا أن أكتب القصة ، فقد كانت مطالعاتي لترجمات القصص العالمي كثيرة.. بل كنت مستغرقًا في مطالعة القصة ، لدرجة الإدمان .. وكان يبدو على عينيَّ أثر الإجهاد.. ولعل ذلك مما جعلني أستعمل النظارة وعمري حوالي السابعة عشرة .. ولم يبخل عليَّ زملائي في المعهد بإطلاق لقب أدبي .. فقالوا : (قصصي المعهد) .. ولكني بعد تخرّجي ، لم أكتب من القصة إلاّ النزر اليسير ، ولو جمعت كل ما كتبت من قصص

نته ، لما جاءت في حجم كتاب صغير.. ولئن واتتني الظروف
على جمع هذا الغثاء لجمعته.. ليصدّق القرّاء أي غثاء هو !

على أنني مع تقدّم العُمْر والأيام .. لم يزل بي حنين إلى
القصة .. ومنذ سنوات قليلة بدأت أكتب رواية طويلة بعض
الشيء.. لكني لم أواصل كتابتها وذلك من حُسْن حظ القرّاء ..
بل لم أنشر منها شيئًا .. وما زالت في الأبجديات الأولى ..
ولولا أن الشيء بالشيء يُذْكر ، لما بُحْت بسرِّها..

هذه المحاولات التي ذكرت ، كانت في الاتجاه الأدبي ، في
الشعر والقصة .. وكانت قبيل تخرّجي من المعهد العلمي
السعودي ..

* * *

أما بعد تخرّجي .. فقد اتجهت المحاولة إلى التأليف
المدرسي .. لماذا ؟ لأنني فور تخرّجي ، عملت مدرسًا في المدرسة
العزيزية الابتدائية بمكة المكرمة ، وهي المدرسة ذاتها التي كنت
أدْرُس بها .. فلم أغب عنها إلاّ سنوات ثلاث .. غادرتها تلميذاً ،

رسالة لطيفة من تأليف السيد طاهر الدباغ نفسه عن السيرة النبوية ، لعلّه كتبها لطلاب المدارس أيضًا .. وأحسب أن مصدر حماسه ، أنه رأى في شخصي المتواضع ، صورةً لشبابه حينما وضع تلك الرسالة .. لكنه كان أصدق مني عزمًا وتصميمًا ، فقد طبع هو رسالته ، ولم أطبع أنا رسالتي لأنني لم أتمها .

أما لماذا لم أتم هاتين المحاولتين ..؟ فقد كان ذلك لأنني لم أقض في التدريس أكثر من سنة دراسية واحدة ، أو على التحديد ثمانية أشهر فقط .. ثم أصررتُ على مغادرة التدريس.. إذ وجدته مرهقًا .. وخيّل إليَّ أنه لا يتسع لطموحي .. فقد رأيت التدريس أيامها ضيّق المجال .. فغادرته .. إلى مديرية المعارف ذاتها ، محرراً في ديوانها .. وترتب على ذلك إهمال تينك المحاولتين . .

٢ - في التأليف المدرسي

شاء الله أن أدخل غمار التأليف المدرسي دون سعي مني.. لقد كان الأستاذ الشيخ عمر عبدالجبار - يرحمه الله - أستاذي في المعهد .. وكان مساعداً لمديره الأستاذ السيد (أحمد العربي) حفظه الله ، وكان يوليني رعاية خاصة.. ويحاول أن يشجعني .. وكان مهتمًا بوضع عدد من الكتب المدرسية المختلفة.. للمدارس الابتدائية .. ولم يكن هذا الاهتمام جديداً عليه .. فقد كان يؤلّف الكتب العربية للطلاب في أندونيسيا حينما هاجر إليها في حقبة من حياته .. وكان يتبع أسلوبًا جديداً في تأليفه يتفق مع أحدث النظريات التربوية آنذاك .. وبدا له أن يؤلّف - ضمن مؤلفاته المدرسية - سلسلة كتب في المطالعة ، أطلق عليها اسم (المطالعة السعودية) وعرض عليَّ أن أراجع بعض أجزاء هذه السلسلة .. وكنت أعلم أن هذا الطلب نوع من التشجيع ، يعمد إليه بعض كرام المدرسين لبَثّ الثقة في نفوس طلابهم ..

وقد رأيت أن أبذل قصارى جهدي ، لأثبت لأستاذي أنني كفء للعمل الذي وسّده إليّ .. فنسّقت واقترحت وأضفت .. فما كان من الأستاذ الفاضل إلاّ أن وضع اسمي إلى جوار اسمه حينما صدرت السلسلة ، وكنت أعلم أن جهدي فيها لا يصل إلى درجة المشاركة في التأليف ، فقد كان جلّ العمل من اختياره هو.

وكان سروري عظيمًا حينما رأيت اسمي في اكليشيه على أغلفة السلسلة .. ولم يقتصر مكسبي على الجانب المعنوي ، وقد كان وحده يكفيني .. ولكن أستاذي الكريم ، أضاف إليه كسبًا ماديًا .. فعاد عليّ ببعض ما عاد عليه من مكاسب مادية .. وساهم ذلك في تحسين وضعي المادي .. الذي لم يكن مُنْتَعِشًا.

كانت هذه أول تجربة لي في التأليف .. وهو التأليف المشترك .. وفي الحقل المدرسي..

على أن هذه السلسلة لم تعمّر طويلاً .. فقد احتجبت بعد أن حلّ غيرها محلها..

٣ ـ محاولة في المسرح

وخلال عملي في مديرية المعارف ، كنت وثيق الصلة بمعهدي الذي تخرّجت فيه . وأعد نفسي من أسرته .. فكنت أحرص على أن أشارك في نشاطه الأدبي ، بحضور مسامراته .. في أمسيات الخميس .. أو في حفلاته الكبرى .. كحفلات التخرّج ، أو المناسبات التي كان يدعو فيها نائب جلالة الملك في الحجاز ، أعني الأمير فيصل بن عبدالعزيز (الملك فيما بعد) .. وأذكر أني قدّمت في إحدى هذه الحفلات مسرحية بعنوان (بالمفتشري أحسن) .. وهي في نظري الآن عمل بدائي ساذج .. تدور الفكرة فيه على أن الصراحة أو (المفتشري) أحرى أن تسود بين الناس ..

والمسرحية تنديد بخلق الغيبة .. كما كانت تهدف في الوقت نفسه إلى تحسين أوضاع المدرسين ، الذين كان حظهم من حيث الراتب ضئيلاً .. وكان الأمير فيصل مهتمًا بالنهضة

التعليمية ، يحدب عليها ، ويهب المعهد رعاية خاصة .. وقد كنت في هذه المسرحية ، مؤلفًا ومخرجًا .. بقدر الإمكان ، ولكن لم يفتني الاستعانة بالأستاذ طاهر زمخشري ـ يرحمه الله ـ الذي كان له نشاط أدبي وإذاعي ملحوظ ، ليمدني بخبرته ، ولم يبخل عليَّ بذلك ، كعادته .. وأعانني على العمل بعض الزملاء، ولا يسعني أن أقول الآن بعد كل تلك السنوات التي مرّت على ذلك الحفل ، لا يسعني أن أقول شيئًا عن نجاح المسرحية أو عدم نجاحها ، كما لم أعد أذكر من هم الأبطال الذين وقع عليهم الاختيار .. بل لم أعد أعلم مصير تلك المسرحية بين أوراقي .. وأغلب الظن أنني اعتبرتها عملاً صبيانيًا لا ينبغي الاهتمام به.. ولكنني فضّلت أن أذكرها هنا تسجيلاً لهذه المرحلة .. وتأكيداً لما كنت أهتم به مما يتصل بالقصة .. وهو فن لم أحاول ـ فيما بعد ـ أن أواصل مسيرتي فيه ، إلاّ في خطرات قليلة . متفاوتة الزمن، وإن كان يخيّل إليَّ أن السرد القصصي ، لا يزال يغلب على أسلوبي في الكتابة.

٤ ـ في المراجعة والتحقيق

ويشاء الله أن يكون عملي التالي في دنيا التأليف ، عملاً مشتركًا أيضًا ، ولكن الاشتراك هذه المرة لم يكن مع أستاذ من أساتذتي ، ولكن كان مع زميل من زملاء الدراسة ، ولم يكن عملاً مدرسيًا ، بل لم يكن تأليفًا ، وإنما كان محاولة لتحقيق كتاب تراثي . .

وقبل أن أتطرق إلى التفصيلات ، يهمني أن أقول : إن الزميل هو الصديق العزيز رفيق الدرب ، الأستاذ (أحمد محمد جمال) الكاتب الإسلامي الشهير .

أما الكتاب فهو (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) لعبدالكريم القطبي .

ولهذا الكتاب قصة ينبغي أن تُروى ، فقد تكون مفيدة للتاريخ الأدبي ، وتاريخ حركة النشر في المملكة .. فقد أنشأ

مجموعة من الشباب (سنة ١٣٦٦ هـ) - كنت أحدهم - لجنة للتأليف والنشر ، مكوّنة من عشرة أشخاص ، من ضمنهم رجلان لهما مكانة في العِلْم والأدب ، أحدهما الأستاذ الأديب الكبير (محمد سعيد العامودي) والآخر الشيخ (عبدالوهاب دهلوي) ـ يرحمهما الله ـ . وكان من بين أعضاء اللجنة الصديق الأستاذ (أحمد محمد جمال) . .

قامت هذه اللجنة بنشر قصة طويلة للأستاذ الكبير (أحمد السباعي) هي قصة (فكرة) سنة ١٣٦٦ هـ ، ثم نشرت كتابًا تراثيًا هو (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) سنة ١٣٦٩ هـ .. وقد اشتركت في مراجعته وتحقيقه مع الأستاذ أحمد جمال .

حقًا لقد كان الكتاب مطبوعًا من قبل في (ليبزج) من قِبَل أحد المستشرقين .. ولكن الشيخ (عبدالوهاب الدهلوي) أشار علينا بإحيائه ، خصوصًا وأنه يختصر كتاب القطبي الكبير في تاريخ بناء المسجد الحرام اختصاراً جيداً ، ومؤلفه ، أعني

المختصر، هو ابن أخيه [1] ..

راقت لنا الفكرة .. وبدأنا في مراجعة المختصر .. فاقتسمت النص مع الصديق الأستاذ أحمد جمال .. ولم يكن أمامنا إلاّ النسخة المطبوعة منه .. والنسخة المطبوعة من كتاب القطبي الكبير ذاته .. فبذلنا الجهد في مطابقتهما ، وأرجعنا في الهامش بعض ما حذفه المختصر .. وقد لاحظت خلال مراجعتي للكتاب ، أن المختصر حذف موضوعات مهمة جداً ، ما كان حقها الحذف ، مثل تاريخ مدّ عين زبيدة إلى مكة المكرمة ، وهو مشروع حيوي ضخم قامت به الخاتون شقيقة السلطان سليم العثماني، الذي بنى ووسّع الحرم المكي الشريف في صورته القديمة القائمة حتى يوم الناس هذا .. وإن هذا المشروع المائي الكبير له أهميته

---

(١) كان الشيخ الدهلوي يرى أهمية كبرى لهذا الكتاب ، لأهمية الكتاب الأصل للقطبي الكبير (محمد بن أحمد ت ٩٩٠ هـ) في تسجيل تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام خاصة للإنجازات العمرانية الباهرة التي تمت في عهده.

القصوى تاريخيًا ، ولكن يبدو أن المؤلف أراد الاقتصار على ما يتعلّق ببناء المسجد الحرام فحسب ، وقد أرجعت وزميلي مثل هذه الموضوعات المهمة إلى الكتاب ، وجعلناها في هامشه ، إتمامًا للفائدة.

وقد طبع الكتاب طبعات عدّة ، وصدر في طبعتيه الأخيرتين ، بعد أن انضم إلينا في مراجعته الدكتور عبدالله الجبوري.

٥ - قصّة المكتبة الصّغيرة

لقد مرّت هذه المرحلة من عمري ، وهي مرحلة الشباب ، دون أن أستقل بعمل أدبي خاص .. فلم أنشر باسمي - منفرداً - أي كتاب .. حتى جاوزت حدّ الأربعين .. وإن كنت قد بذلت بعض النشاط في الصحف والمجلات والمؤتمرات الأدبية والإذاعة .. ولكن كل ما كتبت في هذه الوسائل ظلّ أوراقًا لا يجمعها كتاب حتى كان عام ١٣٨٩ هـ.

في عام ١٣٨٩ هـ ، اشتركت في مؤتمر الأدباء السابع الذي انعقد في بغداد .. وألقيت فيه محاضرة مختصرة بعنوان (توثيق الارتباط بالتراث العربي) ، وهذا الموضوع أحد الموضوعات المقترحة من قِبَل مؤتمر الأدباء ذاته..

وعقب عودتي ، عقدت العزم ، على أن أبدأ في نشر بعض كتاباتي التي يصحّ أن تصدر في كتيبات صغيرة يضم كل كتاب موضوعًا معيّنًا .. أي أنني لم أفكر في جمع مقالاتي من

ذوات الموضوعات المتباينة .. ورأيت أن أبدأ بهذه المحاضرة ، وبدا لي أن أسمّي هذه الإصدارات (المكتبة الصغيرة) .. مشيراً إلى صغر حجم هذه الكتيبات ، ولا أعني طبعًا أن أخصصها للصغار .. ولم يخطر ببالي أن يسهم في هذه الإصدارات أي كاتب آخر غيري..

أما لماذا اخترت أن تكون هذه المحاضرة ، هي أول تلك الإصدارات ..؟ فلعلّ ذلك يعود ، إلى أنها أقربها إلى يدي ، وأن الأمر فيها لا يتطلب عناء بحث ولا مراجعة .. ولا نبشًا في أوراقي القديمة .. لأنني كنت أوثر الحثّ على العناية بالتراث القيّم الذي لم يتهيّأ له النشر.

وكان أن صدر الكتاب الأول فعلاً يحمل عنوان المحاضرة.. صدر في وريقات قليلة جداً .. وفي طباعة متواضعة .. وبغلاف عادي.

وبرغم اعتزازي بهذا الكتيب .. فإني أدرك تمامًا أنه لم يأت بجديد .. فالأفكار التي ضمّها عادية .. متداولة .. كل ما

فعلته أنني جمعتها من هنا وهناك .. مع بعض الاجتهادات الطفيفة .. ولعلّ مرد اعتزازي به أنه الابن البكر .. وأنني حاولت فيه أن أنبِّه إلى بعض الدعوات الخطِرة التي أخذت تطل برءوسها ، لتفصل هذه الأمة عن تراثها ..لأهداف سيِّئة بعيدة المرمى .. وقد أخذنا الآن نرى كيف تطورت تلك الدعوات ، وكيف أخذت تنتشر شيئًا فشيئًا .

صدر الكتيب الأول من سلسلة (المكتبة الصغيرة) في صفر عام (١٣٨٩ هـ) ، ووجد تشجيعًا من بعض الوزارات والجهات.. مما أتاح طبعه للمرة السادسة في ربيع الآخر من عام (١٤٠٨ هـ) ، كما لقى من الأصدقاء ترحيبًا وتأييداً .. وجدير بالذكر أن الطبعة الأخيرة ، بها بعض الإضافات والزيادات .

وقد حفّزني ما لقي هذا الكتيب من تشجيع ، على أن أختار مقالاً طويلاً بعض الشيء نَشَرَته لي مجلة (قافلة الزيت) (القافلة) الآن ، عن جبل طارق والعرب .. ويشكّل هذا المقال جزءاً من مشروع كتاب ، كنت أنوي تأليفه عن (بوابات الفتح) بدأته بجبل طارق ، ثم كتبت بعده شيئًا عن جزيرة (قبرص)

وأهميتها للفتح الإسلامي .. ولكني لم أنشره في كتيب .. ولم تتهيّأ العودة إليه ، ولا إلى المشروع الأساس الذي ظلّ فكرة تلوب في الخاطر..

وكان أن طبعت المقال الخاص بجبل طارق ، بالأسلوب نفسه .. أي طباعة ينقصها الرواء .. إلاّ أن هذا الكتيب على صِغَر حجمه ، حمل في غلافه صورة جبل طارق ، واشتمل على بعض الصور الفوتوغرافية في الداخل .. وهذه الصور استمددتها من مجلة (قافلة الزيت) نفسها .. وهكذا صدر الكتيب الثاني من سلسلة (المكتبة الصغيرة) في شعبان عام ١٣٨٩ هـ ولقي من التشجيع ما لقي الكتيب الأول .. وتكرر طبعه أيضًا .

أما الكتيب الثالث .. الذي صدر في السلسلة عام ١٣٩٠هـ ، في شهر رجب ؛ فهو جزء من مقالات كنت نشرتها عن رحلة قمت بها إلى بعض بلدان الشرق الأقصى.. وهذا الجزء خاص بماليزيا ، وقد نشرته بعنوان (خمسة أيام في ماليزيا) وهو لا يكاد يزيد من حيث الحجم الضئيل عن سابقيه .. وربما يُعَدّ من أدب الرحلات..

أما الكتيب الرابع .. فيستحق وقفة صغيرة .. لأن الكتيبات الثلاثة التي سبقته ، كانت موادها جاهزة عندي .. فالأول محاضرة .. والثاني مقال ، والثالث جزء من مقالات.. أي أنني لم أقصد فيها قصداً إلى التأليف .. أما هذا الكتيب الرابع فالأمر فيه مختلف .. فقد قصدت تأليفه قصداً .. وقصته أنني كنت أقرأ في كتاب (رياض الصالحين) للنووي ، وهو كتاب أحبه ، فلفت نظري حديث التوبة لكعب بن مالك ، أحد شعراء الرسول ﷺ ، وهو صحابي جليل .. فأخذت بما في الحديث من بيان وقوة سرد واستيعاب وتصوير .. فعقدت العزم على أن أكتب له ترجمة ، وأن أجمع شعره ، وأن أشير إلى نثره الفني في هذا الحديث .. وكنت على أبواب عطلة عيد ، فانتهزت أيامها ، فجمعت الترجمة من أهم مصادرها ، وأخذت أجمع شعره كذلك ، وكدت أقف مطوّلاً عند نثره، وأبرز ما فيه من جمال وإشراق.. ولكن بعد أن كتبت الترجمة ، وجمعت ما تيسّر من الشعر، رأيت

أن حجم الكتاب قد تجاوز ما افترضت من حجوم (المكتبة الصغيرة) ، فكان أن غيّرت موقفي من فصلين :

الفصل المتعلق بجمع شعره ، فقد تبيّن لي أن الأستاذ الباحث العراقي الدكتور (سامي مكي العاني) قد جمع من قبل ديوان كعب رضي الله عنه .. فاكتفيت بإيراد نماذج من شعره ، أو ما تيسّر لي إيراده منه.

أما الفصل الثاني .. فهو الكلام على نثره .. فقد اكتفيت بإيراد نص حديث التوبة .. ووضعت خطًا ، تحت كل عبارة جمالية تستحق التأمل .. وأمّلت أن يجد هذا الشاعر من بين الدارسين من يُعنىٰ به عناية مستفيضة .. وقد تحقق شيء من ذلك مؤخراً ، عندما أصدر الأستاذ الدكتور (محمد علي الهاشمي) كتابًا ضخمًا عنه ، وقد عُنِيَ عناية خاصة بنثره .. وقد أشار إلى كتيبي المتواضع في مقدّمته ، فسَرّني ذلك وإن كان لم يجعله بين مراجعه .. ومع تسليمي بأنه لا يصلح أن يكون مصدراً ، فمصادر ترجمة كعب رضي الله عنه وشعره معروفة لكل باحث ، ولكنه قد يصلح أن يكون مرجعًا لأنه ألمع إلى نثره ولفت الأنظار إليه . وقد تكون

هذه الناحية هي الجديدة التي حاولت لفت الانتباه إليها.

حقًا إن هذا الكتيب ليس دراسة لحياة الشاعر ولا لشعره.. ولكنه كتب في فترة، لم تتوفر فيه عناية كافية تتفق مع مكانة هذا الشاعر الفحل الذي يُعَدّ أحد أركان الشعر الإعلامي على عهد رسول الله ﷺ .. وظننت أن أحداً لم يعن به قبلي.. إلى أن اكتشفت خلال إعداده عمل الأستاذ الدكتور العاني، في جمع شعره، وهو عمل رائد بلا شك جدير بالتنويه.

ودخلها آخرون

وهكذا يرى القرّاء، أنني مضيت في مكتبتي الصغيرة، مطبقًا منهجي في أن أصدر من خلالها بعض أعمالي الشخصية في دنيا الأدب والفكر .. ولكن شاء الله أن ينفتح بابها .. وأن يفتح الباب شاب في مقتبل العمر .. وهب شبابه للكتب والمكتبات.

لقد زارني هذا الفتى في داري بالملز في الرياض .. ومعه

بحث مختصر لأطلع عليه .. وقرأت البحث .. كان طريفًا حقًا .. وافق هوى في نفسي .. فهو تحقيق تاريخي عن شخصية (أبي محمد البطال).. وأبو محمد هذا شخصية عجيبة .. تصنع العجائب .. شخصية من شخصيات ملحمة (الأميرة ذات الهمة) وهذه الملحمة من أهم كتب القصص الشعبي .. وإن لم تخني الذاكرة ، فإن هذه القصة الطويلة ، تقوم على ثلاثة أبطال : الأميرة ذات الهمة البطلة الشجاعة .. وابنها عبدالوهاب ، البطل المحارب ، أما الشخصية الثالثة ، فهو أبو محمد البطال ، وهو رجل فكه صاحب حيلة ومكر ودهاء ، اختاره كاتب الملحمة ، أو كُتّابها ليمثل دور العقل الذي يغلب الشجاعة ، ويحل من العُقَد ما لا تحل الشجاعة..

كنت أظن أن هذه الشخصية من صنع الخيال المحض ، حتى جاء هذا الفتى ، ليقول في بحثه ، إنه شخصية واقعية لها وجود حقيقي .. وأن يدور بحثه حول إثبات ذلك .. ولم يخرج الفتى من زيارتي ، حتى كان هناك اتفاق أن يدخل هذا البحث المختصر في (المكتبة الصغيرة) ، وهكذا كان ، فصدر في عددها الخامس ..

وكان هو الكتيب الأول الذي يصدر بقلم غير قلم صاحبها .. وقد انفتح الباب بعده للآخرين على مصراعيه .. وقد صدر من (المكتبة الصغيرة) حتى الآن أكثر من خمسين عدداً .. لم يكن لي فيها إلاّ عشرة كتب .. أو عشر رسائل على الأدق.

أما الفتى ، فهو اليوم الدكتور (يحيى محمود ساعاتي) رئيس تحرير مجلة عالم الكتب ، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومدير مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، الرجل الذي وهب نفسه للكتب والمكتبات ، وأخلص لخدمة الكتاب إخلاصًا يقل نظيره ، وقد طبع كتيبه ثلاث مرات ، وفي الطبعة الثالثة بعض الزيادات والإضافات .

أُمّ عِمَارَة

قُلْت إنني كتبت رسالتي عن (كعب بن مالك) في عيد الفطر من سنة ١٣٩٠ هـ ، وهذه السنة كانت مباركة ، فقد أنجزت أيضًا في عيد أضحاها رسالة ثانية هي (أم عمارة) ، وهي

كتيب صدر عام ١٣٩٢ هـ ، وطبع خمس طبعات آخرها سنة ١٤٠٩ هـ ، وكان الحافز لكتابته حافزاً شخصيًا ، فقد استشارتني شخصية هذه الصحابية البطلة التي تحوّلت من ممرضة إلى محاربة، ووقفت في موقعة أُحد، تناضل عن الرسول الكريم ﷺ .

وقد أعجب بهذه الرسالة فضيلة الشيخ ناصر الحمد ، الرئيس العام لتعليم البنات آنذاك ، وأبدى رغبته ، جزاه الله خيراً ، وحيّاه ، أن يجعل منها كتابًا للمطالعة الإضافية ، واقترح عليَّ أن أعيد النظر فيه ، لأُعِدّه إعداداً خاصًا للفتيات في الشهادة الابتدائية .. فاستجبت للاقتراح ، وحاولت أن أُيَسّر بعض عباراته ، مع الاحتفاظ ببعض معالم أسلوبه ، حرصًا على تزويد الفتيات ببعض الألفاظ التي قد تبدو غريبة لتكون في مدخراتهن اللغوية .. وقد طبعته رئاسة تعليم البنات طبعة خاصة بها ، وأحسبها لا تزال تطبعه لطالباتها .. على أن الطبعة الخاصة بسلسلة (المكتبة الصغيرة) لا تزال محتفظة باستقلالها كما وضعتها .. إلاّ أنني في الطبعة الأخيرة ، أدخلت زيادات طفيفة ،

وأجلت النظر فيها .. وغني عن البيان أن أتحدث عن تطور الغلاف من صورته الأولى الساذجة المتواضعة ، إلى غلاف أنيق أعدّه فنان كبير .

من عبد الحميد الكاتب

كانت صلتي بفضيلة الشيخ ناصر بن حمد الرئيس الأسبق لرئاسة تعليم البنات ، ولا تزال ، صلة ود واحترام متبادل ، وهو شخصية نادرة المثال خُلُقًا وعِلمًا وحزمًا .

وقد سلف أن أشرت إلى اهتمامه برسالة (أم عمارة) ، وهنا أذكر أنه كان - أيضًا - صاحب الفضل في إصدار كتيبي السادس في سلسلة (المكتبة الصغيرة) ، وهو (من عبدالحميد الكاتب). فقد اقترح عليّ، أن أعنى برسالة (عبدالحميد الكاتب) إلى الكُتّاب .. وهي رسالة مشهورة ، ولكن الشيخ استحسن أن تصدر ضمن السلسلة ، لنفاستها وأهميتها .

وبالرغم من أنه لم تكن لي عناية بأدب الرسائل بصفة عامة ، ورسائل عبدالحميد الكاتب بصفة خاصة ، إلاّ أن مكانة

فضيلة الشيخ من نفسي ، جعلتني أستجيب لطلبه ، وأراجع ما كتبه عبدالحميد الكاتب ، وأطلع على بعض مصادر حياته ، وما وسعني مراجعته عن أدبه وعصره ، وخلصت من كل ذلك بهذا الكتيب الصغير .. الذي ترجمت فيه بإيجاز لعبدالحميد ، ثم أوردت رسالته وشرحتها ، ثم وضعتها في شبه دستور في مواد آملاً أن يهتم بها الموظفون .. وأسميته (من عبدالحميد الكاتب إلى الموظفين والكُتّاب)، وطلبت من فضيلة الشيخ ناصر بن حمد أن يكتب مقدّمته ففعل مشكوراً .

وقد كان هذا الكتيب هو الوحيد فيما أصدرت من رسائل، الذي اقْتُرِحَ عليَّ موضوعه .. وقد طبع مرتين .

الحج في الأدب العربي

أما الكتاب السابع الذي صدر لي ضمن سلسلة (المكتبة الصغيرة) وهو يحمل فيها الرقم السادس عشر ، فقد كان بعنوان (الحج في الأدب العربي) .. وهو عبارة عن محاضرة كنت ألقيتها في (المؤتمر الأول للأدباء السعوديين) ، الذي أقيم في

مكة المكرمة ، وتبنّته (جامعة الملك عبدالعزيز) بجدة ، حينما كان معالي الدكتور محمد عبده يماني مديراً لها ، وقد أُقيم ذلك المؤتمر سنة ١٣٩٤ هـ، برئاسة الشيخ حسن آل الشيخ وزير المعارف آنذاك - يرحمه الله -. وكان من بين الموضوعات المطروحة للبحث، موضوع (الحج في الأدب العربي) فاخترت أن أكتب فيه.. وقد فعلت في الحدود التي تعطي ملامح عاجلة عنه ، تصلح للمحاضرة، ولا تصلح أن تكون بحثًا دقيقًا ولا دراسة مستوعبة.. ثم نشرت المحاضرة كما هي ، إلاّ من تعديلات طفيفة.

وصدر هذا الكتيب سنة ١٣٩٥ هـ ، وطبع للمرة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ.

ضرار بن الأزور

أما قصة الرسالة الثامنة التي صدرت في سلسلة (المكتبة الصغيرة) ، فقد دعيت من قِبَل صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب لإلقاء

محاضرة في نادي عنيزة الرياضي فأبديت موافقتي .. ثم أجلت الفكر في اختيار موضوع ثقافي مناسب ، أتحدث به إلى شباب عنيزة.. ورأيت أن يمتّ الموضوع إلى (القصيم) بصلة .. وأخذت أبحث في تاريخ الصحابة ، عن صحابي يتمتع بشخصية مميّزة يكون من أهل هذه المنطقة .. أجعله موضوع حديثي .. فوجدت طلبتي في الصحابي البطل الشاعر (ضرار بن الأزور) وهو من بني أسد وبلاده في عالية نجد ، يرحل قومه بين منطقة حائل ومنطقة القصيم، فتوفّرت على دراسة حياته بقدر ما استطعت .. وساقني البحث إلى حياة الشاعر (أرطاة بن سهية) ، حيث دلّت الدراسة أن ضراراً هو أبوه ، وإن يكن قد اشتهر بنسبته إلى أمه (سهية) كما استطرق الكلام إلى " خولة بنت الأزور " .. فكان أن شملت المحاضرة الأشخاص الثلاثة .. فطال نَفَسها .. وقد ألقيتها في مقر النادي سنة ١٣٩٤ هـ في ليلة شاتية ، في ساحة غير مغطاة إلاّ بعضها .. وقد تجلّد بعض المستمعين معي إلى نهاية المحاضرة التي امتدت إلى ساعتين .. مع ما بذلته من جهد للاختصار، وقد حذفت منها حين إلقائها الجزء المتعلّق بخولة ..

وقد دلّتني هذه التجربة على أن على أي محاضر ، وخصوصًا في أوساط الشباب أن يحاول الاختصار ، ما وسعه إلى ذلك سبيل .. وما زلت أذكر بكثير من الإكبار أولئك الأبطال الذين صابروا وصبروا حتى فرغت من محاضرتي ليقولوا لي كلمة مجاملة ..

المهم أن هذه المحاضرة أثمرت ثلاثة كتب ، أولها عن ضرار ابن الأزور ، شمل ترجمته ، ومحاولة جمع أشعاره .. على أني قد أجَلْتُ النظر في المحاضرة كثيراً فأضفت وحذفت.

صدر هذا الكتيب يحمل الرقم ١٩ في السلسلة، وذلك في سنة ١٣٩٧ هـ ، وطبع مرة ثانية سنة ١٣٩٨ هـ ، وثالثة سنة ١٤٠٤ هـ ، وقد جرى تعديل طفيف في بعض الطبعات ، وقد ضم الكتيب ما توصلت إليه من أشعار الشاعر.

خَوْلة بنت الأزور

أما الرسالة التاسعة ، فكان المفروض أن تكون عن (أرطاة ابن سهية) ابن ضرار ، للصلة بين الشاعرين والموضوعين ، ولكني

تريّثت في أمر (أرطاة) ريثما أقف على المزيد من أخباره .. ولكي أقف على مصادر ، لم تتح لي ظروف المحاضرة أن أقف عليها.. لذلك فقد قدّمت كتيب (خولة بنت الأزور) عليه .. وقد أخذ في السلسلة رقم ٢٤.. وهو كتيب ضئيل الحجم ، انتهيت فيه إلى أن هذه البطلة التي دوّت شهرتها ، ليس لها وجود حقيقي في كتب التاريخ المعتمدة .. ويُعدّ هذا الأمر مفاجأة للأوساط الأدبية والتاريخية .. ولكن هذه هي الحقيقة..

صدرت الطبعة الأولى من هذه الرسالة سنة ١٣٩٧ هـ ، وصدرت الطبعة الثانية سنة ١٤١٠ هـ .. دون إضافة تُذكر.

وقد وجدت بعض الباحثين ، أخذوا لباب بحثي ، ثم ضنوا بالإشارة إلى مصدره .. عفا الله عنهم.

أرطاة بن سهية

وجاء الحديث عن (أرطاة بن سهية) في الرسالة العاشرة، بعد أن فرغت من مراجعة المراجع التي كنت أحرص على الرجوع

إليها ، وقد تغيّر إعداد الموضوع عمّا كان عليه في المحاضرة ، كما صرفت النظر عن استقصاء أشعاره ، عندما عرفت أن هناك أكثر من باحث في العالم العربي، يُعنى بأمر هذا الشاعر، وجمع شعره.. بل كاد ذلك يثنيني عن نشر كتيبي، ولكني رأيت أن أقدم جهدي على ضآلته ، لعلّ أن يكون فيه ما يفيد.

صدر هذا الكتيب في طبعته الأولى سنة ١٣٩٩ هـ وأخذ في سلسلة (المكتبة الصغيرة) الرقم ٢٨.. ثم لم يصدر لي بعده في هذه السلسلة شيء، فقد ازدحمت بها الرسائل فرأيت أن أفسح المجال فيها لغيري.

٦- مِنْ دَفَاتِرِي

الرَّسُولُ كَأَنَّكَ تَرَاه

بعد أن قررت ترك (المكتبة الصغيرة) لغيري من الكُتّاب والمؤلفين ، التمست وسيلة أخرى أنشر ضمنها ما يتجمّع لديَّ من بحوث ، مما يصح أن يكون شيئًا كالمكتبة الصغيرة .. فرأيت إصدار سلسلة جديدة تشبهها من حيث حجمها ، أخصّها بما كتبتُ من موضوعات تتميّز بوحدة موضوعية ، فكان أن جاءت فكرة (مِنْ دفاتري) فأصدرت بها رسالة (الرسول كأنك تراه - حديث أُم معبد) . وقد صدر هذا الكتيب سنة ١٤٠٣ هـ في طبعته الأولى ، متضمنًا وصف أُم معبد للرسول ﷺ ، وتخريج الحديث ، والكلام عنه بما ذكره المحدّثون ، مع شرح غريبه ، ومع تحقيق لموضع خيمة أُم معبد ، حيث قمت برحلة عملية لقديد، وتحرّيت المكان ، وكان في عزمي وما أزال ، أن أواصل السير في شرح أحاديث الشمائل، ولكني انصرفت إلى اهتمامات أخرى تتوازعني بالرغم من نزوعي إلى هذا الجانب الروحي المحبب إليَّ.

٧ ـ خارج السلاسل

يوميات مئذنة مكيّة

في غير هاتين السلسلتين ، صدرت لي قصيدة مستقلة بعنوان (يوميات مئذنة مكّية) ، عن أحداث الحرم المكّي التي وقعت في غرة المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، وقد رصدت ما تجمّع من بيعها حين طرحها تبرعًا للمتضررين من تلك الأحداث .. وكانت هذه القصيدة من شعر التفعيلة.. ولم يكن قد صدر لي قبلها من الشعر شيء .. وإن كان مما أعدّ للصدور ديوان يحمل اسم (ظلال ولا أغصان) .

زيد الخير

وفي غير مجال دار الرفاعي ، وسلاسلها ، دعتني تهامة للمشاركة في إصداراتها ، وكان لديَّ كتيب جاهز ، أعددته عن (زيد الخير) أعني (زيد الخيل) الشاعر الصحابي البطل ، ضمن ما أعنى به من إنصاف بعض الشعراء ، الذين لم ينالوا حظًا

كافيًا من عناية الباحثين والنّقاد ، وكان هدفي هو الترجمة له ، وإلقاء بعض الأضواء على حياته ، وما راق من شعره ، أما جمع أشعاره ، فقد اضطلع بذلك الباحث العراقي المحقق الدكتور (نوري حمودي القيسي) .

فكان أن قدّمت لتهامة هذا الكتيب ، فتولّت نشره ضمن إصداراتها ، وذلك في سنة ١٤٠٢ هـ ، وقد أُعيد طبعه.

٨ ـ محاضرات

وبعيداً عن دور النشر ،أعني عن (تهامة) و (دار الرفاعي) ، ومن قبلها سلسلة المكتبة الصغيرة - فهناك محاضرات كنت ألقيتها أو أعددتها لتلقى ، قامت بعض الجهات بنشرها .. ولو في نطاق ضيّق ..

مما أذكره .. محاضرة كنت أعددتها لتلقى ضمن (الذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون) ، وكان مقرراً لهذا اللقاء أن يتم في الرباط في أكتوبر سنة ١٩٧٥ م.

عنوان المحاضرة (تلميحات شواهد ابن زيدون) ، وأقصد شواهده في رسالته الجديّة التي كتبها في سجنه بقرطبة سنة ٤٣٣هـ ، يستعطف بها أبا الحزم بن جَهْور.

وقد حالت بعض ظروفي دون السفر إلى الرباط لإلقاء المحاضرة ، كما بلغني أن المؤتمر لم ينعقد ، ولكن الجهة المسئولة عنه كانت قد طبعت المحاضرات ، كل محاضرة على حدة ، طبعة

خاصة بالمناسبة ، ومن بينها محاضرتي التي جاءت في حوالي ثماني عشرة صفحة في حجم وسيط.

وقد دأبت المؤتمرات أن تفعل مثل ذلك ، بعضها قد يضيف إلى طبع المحاضرات طبعًا منفرداً، مع تجميعها أيضًا في كتاب كبير، يضم أعمال المؤتمر ومحاضره وقراراته .. وقد فعل ذلك مؤتمر الأدباء في بغداد الذي ألقيت فيه محاضرة (توثيق الارتباط بالتراث العربي) فقد طبعت هذه المحاضرة على حدة في رسالة صغيرة في قطع وسط في نطاق المؤتمر فقط ، وذلك قبل أن أصدرها في سلسلة (المكتبة الصغيرة) حيث كانت هي أول السلسلة وبدايتها.

ومحاضرة أخرى نشرت.. نشراً عامًا، أعني غير محدود.. هي محاضرة (عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب) ، في سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، وكنت أسهمت بها في (المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز) الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفترة من ١٩ - ٢٣ من ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ.

نشرتها (مكتبة الملك فهد) بالرياض ، وكانت بداية سلسلتها الأولى ، حملت الرقم الأول في السلسلة .. بعناية وسعي الأستاذ الدكتور (يحيى ساعاتي) مدير المكتبة .. وقد وقعت الرسالة في حوالي ٣٤ صفحة من الحجم الوسط.

وقد حاولت في هذا الكتيب أن أحصر ثبت الكتب التي نشرها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ، أو ساعد على نشرها .. وأن أُؤَرّخ لذلك قدر الإمكان ، ولا أزعم أنني بلغت فيه المدى ، ولكني حاولت ما استطعت .. وما زلت أُرجّح أن هناك ما لم أتوصل إليه من أطراف البحث.

وهناك محاضرة ألقيتها في رجب ١٤١٠ هـ في قاعة (ليلتي) بجدة، بدعوة من بنك الرياض ، وكانت عن (ابن جبير في الحرمين الشريفين) ، وقد طبعها البنك وخصّصها للإهداء.. وهي محاضرة طويلة بعض الشيء استغرق إلقاؤها حوالي الساعتين ، ضمّت حديثًا عن أهم مشاهدات الرّحّالة الأندلسي الشهير في الحرمين الشريفين ، وفي مدينة جدة .. مع بعض التعليقات على صوره ومشاهداته..

وإني لأرجو مستقبلاً أن أتمكن - إن شاء الله - من إعادة النظر في هذه المحاضرة ، لإعطاء تفصيلات أكثر ، والتعليق على بعض الموضوعات ، لإخراج كل ذلك في كتيب أكثر شمولاً .

٩ـ شعراء مغمورون

وهذا عنوان سلسلة جديدة أخذت في إصدارها ،أثناء إعداد هذا الكتيب .. ولها قصة لا بأس من إيرادها .. فقد تبلّغت في عام ١٩٨٩ م نبأ اختياري عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولا بد أن أذكر، لإرجاع الفضل إلى أهله، أن ذلك كان بترشيح ، بل مسعى من أستاذي الجليل الكريم علاّمتنا الكبير الشيخ (حمد الجاسر) العضو العامل في هذا المجمع ، وهو عضو مرموق المكانة في مجامع أخرى .

وبناء على اقتراح المجمع في إعداد بحث ، يدور في نطاق الموضوع المخصص للدورة السنوية ، ليلقى بها ، أو في أي موضوع آخر يراه العضو ، فقد مالت نفسي إلى إعداد كلمة عن شاعر من الشعراء المغمورين ، الذين عُرفوا بجودة الشعر ، ولم يُعنِ أحد - فيما أعلم - بإلقاء أضواء على حيواتهم ، أو جمع أشعارهم .. وكنت وقفت على أسماء عدد كبير منهم أثناء

مطالعاتي لكتاب " جمهرة نسب قريش " للزبير بن بكار ، الذي تولّى إخراجه ، بل بالأحرى إخراج جزء منه المحقق الكبير الأستاذ (محمود شاكر) .

فرأيت أن أبدأ بأحد هؤلاء ، في محاولة للتعريف به ، وجمع ما تيسّر من شعره ، فكان هذا الشاعر هو (عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني) ، وهو شاعر مُجيد ، فكانت كلمتي في دورة مؤتمر المجمع السنوية في فبراير ١٩٨٩م بالقاهرة ، عنه.

وفي المؤتمر التالي في فبراير ١٩٩٠ م، الذي انعقد بالقاهرة ـ أيضًا ـ عن شاعر آخر ، لم ينل ـ أيضًا ـ حظه من الشهرة ، وهو من أهل المدينة المنورة ، أعني (خارجة بن فُليح المللي) وكلاهما مخضرمان عاشا في أواخر العهد الأموي ، وأوائل العصر العباسي .. وقد جمعت في كلمتي عنه أشعاره التي استطعت الوصول إليها ، وألقيت بعض الأضواء على حياته .

وهاتان المحاولتان تنتظمان مع المحاولات التي بذلتها من قبل ، في سبيل إنصاف بعض الشعراء المغمورين ، الذين أسلفت الحديث عنهم . .

وبعد أن ألقيت كلمتي في المجمع عن هذا الشاعر الأخير، بدا لي في لقاء مع الأخ الصديق الأستاذ (محمد الخانجي) صاحب (دار الخانجي) في مصر ، أن أدفع إليه الرسالتين ، أعني ما كتبت عن (المزني) و (المللي) ليتولى طبعهما بالقاهرة ، على حساب (دار الرفاعي) بالرياض، وقد تم ذلك ولله الحمد ، وهما آخر ما صدر لي.

* * *

وبعد ، فهذا تلخيص عاجل لما وعته الذاكرة عن رسائلي التي طبعت ، وهي ـ كما سبق أن قُلْت ـ لا تملأ ـ إن جمعت ـ مجلداً واحداً .. كما أنها ، بالنسبة لمؤلف منتج كالسيوطي مثلاً، لا تُشَكِّل جزءاً من الألف .. فهل بعد ذلك يصح أن أُسلك في سلك المؤلفين ؟.

أما الرسائل المُعِدّة للنشر ، أو تلك التي قطعت بعض الأشواط في إعدادها ، فلا فائدة من ذكرها ما دامت مطوية .. لم يتيسّر بعد إخراجها.

على أن هناك ركامًا من كتاباتي المتفرقة ، فيها ما ينتظمه موضوع واحد ، وهذه ما زلت أُمَنِّي النفس ، بين حين وآخر ، أن أفرغ إليها لأستخرج منها الموضوعات المتجانسة ، ولكني أرى الأيام تبتلع الأُمنيات ، والعُمْر أقصر من أن يتسع لها .. والله المستعان أولاً وآخراً ..

عبدالعزيز الرّفاعي

جدة ١٤١١/٧/١٣ هـ



الفهرس

هذه الرحلة

مع أنني أعلم تماماً أنه لا يصح أن أسلك نفسي في عداد المؤلفين فليس لي في عالم التأليف الرحب إلا رسائل صغيرة متواضعة جداً، هي بالمقالات المطوّلة أشبه، لا تجعلني في مصاف المؤلفين، ولو أني جمعت كل ما نشرته، أو لم أنشره من هذه الرسائل لما بلغ حجم مجلد واحد. . مما يضعه المؤلفون من كتب فكيف بأولئك الذين وضعوا العديد من المجلدات. . ؟.

لكني وجدت نفسي أخضع لطلب بعض الإخوة. . الذين يسرفون في حُسْن ظنّهم بي. . فيحسبونني في عداد المؤلفين. . وأنّى لي أن أكون منهم إلاّ من بوابة المجاز.

كان لهم إذن ما أرادوا، وكتبت نواة هذا الكتيب، ونشر ذلك في مجلة عالم الكتب. . وقد رجعت إلى أصل هذا المقال، وأعدت النظر فيه بعض الشيء، وها أنذا أقدّمه للقارىء، عسى أن يكون فيه ما يفيد تاريخ الحركة الفكرية في بلادنا العزيـزة، وبالله التوفيق. .

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع